اسم المادة الدراسية : الأدب العباسي (النثر).

اسم المادة باللغة الانكليزية : Abbasid Literature and prose

(المحاضرة العاشرة)

عنوان المحاضرة : تتمة اعلام النثر العباسي.

التدريسي ولقبه العلمي : أ.د. محمد عويد محمد الساير

المرحلة الدراسية : الثالثة .

النثر في العصر العباسي

أعلام النثر(الجاحظ , الهمذاني, الحريري, ابن المقفع , سهل بن هارون, التوحيدي, ابن العميد)

بديع الزمان الهمذاني

ولادته ونشأته:

ولد في الثالث عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة نشأ بهمذان ودرس العربية والأدب ونبغ فيهما وضرب في الأرض يتكسب بأدبه ثم أقام بنيسابور مدة أملى بها أربعمائة مقامة بلفظ رشيق وسجع رقيق، وعلى منوالها نسج الحريري .

شخصيته :

الكاتب المترسل , والشاعر المجيد , قدوة الحريري , وقريع الخوارزمي , ووارث مكانته , معجزة همذان , ونادرة الفلك , وفريد دهره رواية وحفظاً , وغرة عصره بديهةً وذكاءً.

نسبه :

أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذاني، الحافظ المعروف ببديع الزمان؛ صاحب الرسائل الرائقة ، والمقامات الفائقة، وعلى منواله نسج الحريري مقاماته واحتذى حذوه واقتفى أثره، واعترف في خطبته بفضله، وأنه الذي أرشده إلى سلوك ذلك المنهج، وهو أحد الفضلاء

فضله :

بديع الزمان الهمذاني أبو الفضل: قال أبو شجاع شيرويه بن شهردار إن أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد بن بشر أبا الفضل الملقب ببديع الزمان سكن هراة، روى عن أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا وعيسى بن هشام الأخباري، وكان أحد الفضلاء والفصحاء، متعصبا لأهل الحديث والسنة، ما أخرجت همذان بعده مثله، وكان من مفاخر بلدنا، روى عنه أخوه أبو سعد ابن الصفار والقاضي أبو محمد عبد الله بن الحسين النيسابوري.

ذكائه :

كان يعرف الرجال والمتون، قال المؤلف : وقد رأيت ذكر البديع في عدّة تصانيف من كتب العلماء، فلم يستقص أحد خبره أحسن مما اقتصّه الثعالبي، وكان قد لقيه وكتب عنه، فنقلت خبره من كتابه ولخصته من بعض سجعه قال: بديع الزمان، ومعجزة همذان، ونادرة الفلك، وبكر عطارد، وفرد الدهر وغرة العصر، ولم نر نظيره في الذكاء وسرعة الخاطر وشرف الطبع وصفاء الذهن وقوة النفس، ولم ندرك نظيره في طرف النثر وملحه، وغرر النظم ونكته، وكان صاحب عجائب وبدائع، فمنها أنه كان ينشد الشعر لم يسمعه قط، وهو أكثر من خمسين بيتا، إلا مرة واحدة فيحفظها كلّها ويؤديها من أولها إلى آخرها لا يخرم حرفا، وينظر في الأربعة والخمسة الأوراق من كتاب لم يعرفه ولم يره، نظرة واحدة خفيفة، ثم يهذّها عن ظهر قلبه هذّا ويسردها سردا، وهذا حاله في الكتب الواردة وغيرها، وكان يقترح عليه عمل قصيدة وإنشاء رسالة في معنى بديع وباب غريب فيفرغ منها في الوقت والساعة، وكان ربما كتب الكتاب المقترح عليه فيبتدىء بآخره ثم هلم جرا إلى أوله، ويخرجه كأحسن شيء وأملحه، ويوشّح القصيدة الفريدة من قيله بالرسالة الشريفة من إنشائه، فيقرأ من النظم النثر ويروي من النثر النظم، ويعطى القوافي الكثيرة فيصل بها الأبيات الرشيقة، ويقترح عليه كلّ

عويص وعسير من النظم والنثر فيرتجله أسرع من الطرف، على ريق لا يبلعه ونفس لا يقطعه، وكلامه كله عفو الساعة وفيض اليد ومسارقة القلم ومسابقة اليد للفم , وكان يترجم ما يقترح عليه من الأبيات الفارسية المشتملة على المعاني الغريبة بالأبيات العربية ، فيجمع فيها بين الإبداع والإسراع ، إلى عجائب كثيرة لا تحصى ، ولطائف تطول أن تستقصى.

رحلاته :

لم يبق من بلاد خراسان وسجستان بلدة إلا دخلها وجنى ثمارها , فارق همذان سنة ثمانين وثلاثمائة وهو مقتبل الشبيبة ، غضّ الحداثة ، وقد درس على أبي الحسين ابن فارس وأخذ عنه جميع ما عنده واستنفد علمه , وورد حضرة الصاحب ابن عباد فتزود من ثمارها وحسن آثارها، ثم قدم جرجان وأقام بها مدة على مداخلة الإسماعيلية والتعيش في أكنافهم ، واختصّ بأبي سعد محمد بن منصور، ونفقت بضاعته لديه ، وتوفر حظه من عادته المعروفة في إسداء الإفضال على الأفاضل, ولما أراد ورود نيسابور أعانه بما سيره إليها فوردها في سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة ونشر بها بزّه وأظهر طرزه ، وأملى أربعمائة مقامة نحلها أبا الفتح الاسكندري في الكدية وغيرها ، وضمنها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين .

شهرته :

شجر بينه وبين الأستاذ أبي بكر الخوارزمي ما كان سببا لهبوب ريح الهمذاني وعلوّ أمره ، إذ لم يكن في الحساب أن أحدا من العلماء ينبري لمساجلته ، فلما تصدى الهمذاني لمباراته وجرت بينهما مقامات ومبادهات ومناظرات ، وغلّب قوم هذا وغلّب آخرون ذاك ، طار ذكر الهمذاني في الآفاق ، وشاع ذكره في الأفّاق ، ودرّت له أخلاف الرزق ، فلما مات الخوارزميّ خلا له الجوّ

وتصرفت به أحوال جميلة وأسفار كثيرة ، فلم يبق ملك ولا وزير إلا واستمطر بنوئه وسرى في ضوئه ، فحصلت له نعمة حسنة وثروة جميلة، وألقى عصاه بهراة فاتخذها دار قراره ، وصاهر بها أبا علي الحسين بن محمد الخشنامي ، وهو الفاضل الكريم الأصيل ، وانتظمت أحواله بمصاهرته، واقتنى بمعونته ضياعا فاخرة.

منهجه:

أَحْمد بن الْحُسَيْن بن يحيى بن سعيد بن بشر أَبُو الْفضل بديع الزَّمَان الهمذاني الْأَشْعَرِيّ سكن هرارة وروى عَن ابْن فَارس صَاحب الْمُجْمل وَعِيسَى ابْن هِشَام الأخباري كَانَ متعصباً لأهل الحَدِيث وَالسّنة روى عَنهُ أَخُوهُ أَبُو سعد ابْن الصفار وَالْقَاضِي أَبُو مُحَمَّد عبد الله بن الْحُسَيْن النَّيْسَابُورِي قَالَ شيرويه أَدْرَكته وَلم يقْض لي عَنهُ السماع وَكَانَ فِي الحَدِيث ثِقَة ويتهم بِمذهب الأشعرية وَيُقَال جن فِي آخر عمره وَسمعت بعض أَصْحَابنَا يَقُول كَانَ يعرف الرِّجَال والمتون.

.

مناظرته مع الخوارزمي:

جمع السَّيِّد نقيب السِّيَادَة بنيسابور أَبُو عَليّ بنيهما فَترفع الْخَوَارِزْمِيّ فَبعث إِلَيْهِ السَّيِّد مركوبه فَحَضَرَ مَعَ جمَاعَة من تلاميذه فَقَالَ لَهُ البديع إِنَّمَا دعوناك لتملأ الْمجْلس فَوَائِد وتذكر الأبيات الشوارد والأمثال الفوارد ونناجيك فنسعد بِمَا عنْدك وتسألنا فتسر بِمَا عندنَا ونبدأ بالفن الَّذِي ملكت زمامه وطار بِهِ صيتك وَهُوَ الْحِفْظ إِن شِئْت وَالنّظم إِن أردْت والنثر إِن اخْتَرْت والبديهة إِن نشطت فَهَذِهِ دعواك الَّتِي تملأ مِنْهَا فَاك قَالَ فأحجم الْخَوَارِزْمِيّ عَن الْحِفْظ لكبر سنه وَلم يجل فِي النثر قداحاً

وَقَالَ أبادهك فَقَالَ البديع الْأَمر أَمرك يَا أستاذ فَقَالَ لَهُ الْخَوَارِزْمِيّ أَقُول لَك مَا قَالَ مُوسَى للسحرة قَالَ بل ألقوا فَقَالَ البديع

الشّعْر أصعب مذهبا ومصاعداً ... من أَن يكومن مطيعه فِي فكه

وَالنّظم بَحر والخواطر معبر ... فَانْظُر إِلَى بَحر القريض وفلكه

فَمَتَى تراني فِي القريض مقصراً ... عرضت أذن الامتحان لعركه

وَهِي أَبْيَات كَثِيرَة فِيهَا مدح الشريف والمفاخرة وتهجين الْخَوَارِزْمِيّ فَقَالَ الْخَوَارِزْمِيّ أبياتاً وَلَكِن مَا أبرزها من الغلاف فَقَالَ البديع أما تَسْتَحي أَن يكون السنور أَعقل مِنْك لِأَنَّهُ يجعر فيغطيه بِالتُّرَابِ فَقَالَ لَهما الشريف انسجا على منوال المتنبي أرقٌ على أرقٍ ومثلي يأرق .

وفاته :

توفي في سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة , قال شيرويه : ومحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد بن بشر الصفار الفقيه أبو سعد أخو بديع الزمان أبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى لأبيه وأمه مفتي البلد, روى عن ابن تركان وعبد الرحمن الامام وأبي بكر محمد بن الحسين الفراء وابن جائحان، وذكر جماعة وافرة .

قال: وأدركته ولم يقض لي عنه السماع، وكان في الحديث ثقة، ويتهم بمذهب الأشعرية، ويقال جنّ في آخر عمره إلى أن مات وحين بلغ شده وأربى على الأربعين سنة ناداه الله فلباه وفارق دنياه فقامت عليه نوادب الأدب وانثلم حد القلم، على أنه ما مات من لم يمت ذكره، ولقد خلد من بقي على الأيام نثره ونظمه، وأنا ذاكر من طرف ملحه ولفظ غرره ما هو غذاء القلب وقوت النفس ومادة الأنس.

المصادر والمراجع :

- **تاريخ الادب العربي في العصر العباسي الاول : د. شوقي ضيف ، دار المعارف – الاسكندرية ، ١٩٨٦.**
- **تاريخ الادب العربي في العصر العباسي الثاني : د. شوقي ضيف ، دار المعارف – الاسكندرية ، ١٩٨٦.**
- **الادب العربي في العصر العباسي : د. ناظم رشيد ، دار الكتب الوطنية – العراق ، ١٩٩٠.**
- **تاريخ الادب العربي : كارل بروكلمان ، نقله الى العربية : عبد الحليم النجار ، دار المعارف – الاسكندرية ، (د.ت.)**
- **تاريخ الأدب العربي : د.عمر فروخ ، دار العلم للملايين – بيروت ، ط٤ ، ١٩٨١.**
- **الجاحظ : د.طه الحاجري ، القاهرة ، ١٩٧٨.**
- **كتب أبي حيان التوحيدي .**
- **كتب ابن المقفع .**
- **مقامات بديع الزمان الهمذاني.**
- **مقامات الحريري.**
- **كتب فن المقامات قديماً وحديثاً.**
- **كتب الرسائل وفنونها.**
- **كتب الخطب وفنونها.**